العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18 – Ang 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

((النفي الضمني (المقدّر) في الاستثناء المفرّغ))
دراسة تحليليّة نحويّة

Implicit (estimated) negation in the empty exception
A grammatical analytical study

م.م. باقر جاسم حسن
جامعة واسط / كلية التربية الأساسية
Baqir Jassim Hassan
University of Wasit / College of Basic Education
Baqer.Jassim@uowasit.edu.iq
م.م. أيوب منصور علي
الجامعة التقنية الوسطى معهد تقني/ الصويرة
Ayoob Mansour Ali
Central Technical University, Technical Institute/Essaouira
Ayoob_mansor@mtu.edu.iq

المستخلص:
إن أهم ما يميز النحو العربيّ هو قدرته على تحديد المواقف الكلامية للمتكلم والسامع، عبر تحصيل العناصر التي تشكّل المعنى المبيّت في التراكيب اللفظية منها والسياقية.
ومثال هذا التميّز هو ظاهرة النفي بشقّيه (اللفظي الصريح، والضمني)، والأخير هو ما أثرى البحث بلطائف لغويّة، إذ تحمل اللغة العربيّة كثيرا من العبارات والجمل والتراكيب وبعض السياقات التي كانت تحمل في طيّاتها النفيَ. كما لم يقف البحث عند هذا الحد، بل تعدّى حتى وصل إلى تلازم النفي مع بعض التراكيب التي تشترط وجوده كالاستثناء المفرغ.
إن النفي الضمني يكمن في بعض التراكيب كالتمني كـ(ليت) مثلا، أو الشرط، أو الاستفهام الذي يخرج لغرض مجازيّ، والاستفهام هو الأكثر حضورًا من بقية التراكيب التي تفيد النفي (سياقيا)، وأكثره ورودا مع أسلوب القصر (الاستثناء المفرغ)، ليكتمل شرط الاستثناء بمجيء النفي، ولو كان ذلك ضمنيا، وهذا هو ما تم بحثه وتناوله: استخراج النفي الضمني الوارد في الاستثناء المفرغ، وتبيان نوعه وكمّه.

الكلمات المفتاحية:
مفهوم النفي في اللغة العربية، النفي الضمني، النفي السياقي، الاستثناء المفرغ

Abstract:
The most important feature of Arabic grammar is its ability to define the speech situations of the speaker and the listener, by capturing the elements that constitute the underlying meaning in verbal and contextual structures.
An example of this distinction is the phenomenon of negation in its two forms (explicit verbal and implicit). The latter is what enriched the research with linguistic subtleties, as the Arabic language contains many phrases, sentences, structures, and some contexts that contain negation. The research did not stop there, but rather extended to include the coexistence of negation in some structures that require its presence, such as the empty exception. Implicit negation

is present in some structures, such as wishful thinking (like "let"), conditional sentences, or interrogative sentences that serve a metaphorical purpose. Interrogative sentences are more prevalent than other structures that convey negation (contextually), and are most frequently used with the restriction style (empty exception). The condition of the exception is fulfilled by the presence of negation, even if it is implicit. This is what was discussed and addressed: extracting the implicit negation contained in the empty exception, and clarifying its type and quantity.

Keywords:
The concept of negation in the Arabic language, implicit negation, Qasimi negation, empty exception

المقدّمة..

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، محمد (صلى الله عليه وعلى آله المعصومين وصحبه الأخيار المنتجبين).

أمّا بعد، فإن النفي من الأساليب التي تستحق على الدوام أن تكون على جادة البحث العلمي لما له من صور ودقائق مختلفة تثري السياق بالمرونة العالية، التي تكون فيما بعد خيارا لقصديات المتكلم وغاياته الكلامية، وها هو ما يميز النفي عن بقية الأساليب من خلال تعدد صوره.

تناول البحثُ النفيَ الضمني الذي لا يقع بالأدوات، بل يكون سياقيا، أو بأساليب أخرى كـ(الاستفهام، الشرط، التمني). كما تناول تلاقح هذا النوع مع أسلوب الاستثناء (المفرغ)، فيكون بذلك لطيفةً لغويةً تشدّ الذهن إلى هذا النوع من التراكيب، فيسهل من خلال تفسير هذا التضافر فهمُ الغاية التي جاء بها المتكلم.

إن النفي شرط من شروط تحقق الاستثناء المفرغ إن أرداه المتكلم، وهو ما دعا إلى تتبع هذا الشرط مع الاستثناء والبحث عنه وتحديد صوره، وإمكانية التفريق بين ظاهر الأسلوب و باطنه، بين الحقيقة والمجاز، كل ذلك يتحقق مع ما أتاحته اللغة من أدوات معرفية سياقية وقرائن دالّة تمكّن من الوصول والتفريق بين حقيقة الاستعمال ومجازه.

كما يستهدف البحث أكثر الأساليب استعمالا في النفي الضمني وأكثرها ورودًا مع أسلوب الاستثناء المفرغ، كما يبحث في الأساليب المتنوعة التي وردت لهذا الغرض أيضا؛ تحقيقا لشرط الاستثناء المفرغ، ألا وهو النفي.

اعتمد البحث على منهج وصفيّ تحليلي، قوامه الرأي النحويّ المعتمِد على تفكيك العناصر الكلاميّة للوصول للمعنى المنشود على لسان المتكلم. وهذا ما يحتاجه المتعلِّم الذي يخوض غِمارَ الميدان اللغوي، إذ يحتاج إلى الغوص في المعنى السياقي والتركيبي تسهيلا لوصف الحالة اللغويّة وإبعاد التعقيد عنها بدلا من تحشية القواعد اللغوية بالجمود الوصفي لتلك الحالات.

النفي:

يُعدّ النفي في اللغة ركنًا أساسيًا في عملية التركيب الكلامي، فقد شغل الكثيرَ من صفحات الدرس اللغوي قديما وحديثًا، إذ بقي العاملون في ميدان الدرس غير منصرفين عنه، عاكفين على ملاحظة تلك الظاهرة من جوانبَ مختلفة لفظا وسياقا.

يدور النفي في استعمالاته في لبّ الإسناد والعملية الإسناديّة، إذ لا نفيَ دونَ مسندٍ ومسند إليه. لذا كان اللغويون يدقّقون النظر والفكر في تشكّلات النفي وهيئته في سياق الإسناد، والصورة اللغوية التي يجيء بها.

مفهوم النفي:

جاء عند ابن منظور(ت٧١١هـ) في لسان العرب: "نفَى الشيء يَنْفِي نَفْياً: تنَحَّى، ونَفَيْتُه أَنَا نَفْياً"[١]. وبمعنى آخر: المعارضة أو المباينة أو التنافي بين شئين أو أمرين[٢]. ليكون النفي هو خلاف أمر مُراد، أو قد يكون الأمرُ المنفي غيرَ مثبت بعدُ.

لا يبتعد مفهوم النفي في اللغة أو دراسة التراكيب اللغوية عن مفهومه العامّ والشامل، أي بمعنى: الإخبار عن ترك الفعل والعمل به [٣]. أمّا الصورة التي يكون عليها النفي في الجملة، فهي تبعا لمآلات لسان المتكلّم الذي استغلّ مرونة العربيّة من تعدد صور النفي اللفظيّ المباشر، والسياقيّ، الصورَ التي أجازتها اللغة العربيّة على وفق القواعد النحويّة والصرفيّة واللغويّة.

صور النفي:

يأتي النفي على صورتين، الأولى هي ما اعتادت عليه الأنظار والأسماع، أن يكون النفي بإحدى الأدوات التي اصطنعتها العربيّة لهذا الغرض كـ (لا، لم، ليس، لما، ما، لن، لا النافية للجنس، غير) وغيرها من الأدوات التي تفيدُ نفيا لخبرٍ ما[٤].

أمّا الصورة الثانية فتأتي نفيًا ضمنيا، إذ هو نفي يكون دونَ أداة لإتمام هذا الغرض، بل عبارات تحمل دلالات مباشرة وغير مباشرة تفهم منها معنى النفي، بعد أن تشربت معناه، واستشعرت منها أنّ ثمة نفيا يلمح فيها[٥]، سياقيا كان ذلك أم لفظيا. ومن هنا فإن النفي الضمني سيكون أولوية من أولويات هذا البحث الذي سنبحث فيه عن مدى تماشي هذا النوع من النفي مع السياق في أسلوب الاستثناء المفرّغ.

النفي الضمني:

بيّن الدكتور إبراهيم أنيس خلاصة مفهوم هذا النوع بقوله:"والنفي اللغوي لا يكون عادة إلا بأداة تشعر بهذا النفي، فإذا خلا الكلام من أداة نفي، وعبر مع هذا عن النفي، عد مثل هذا نفيا ضمنيا، يطمئن إليه المنطق ويعده من طرق النفي"[٦].

ولهذا النوع طرق عديدة ومعانٍ سياقية مصاحبة لمقصد المتكلم في إتمام معناه، أي نفي غير مصرح به، كوقوع (لو) الشرطية حرفَ امتناع، أي امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط، نحو (لو زرتني لأكرمتك) فامتنع الإكرام لامتناع الزيارة[٧].

ونحو قوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ}[الأنفال، ٢٣] فإن المراد نفي السماع وعدم الخير فيه لا العكس[٨].

ويقع النفي ضمنيا في ليت التي تفيد التمني، والتمني يكون في المستحيل في بعض سياقاتها كـ (ليت الشباب يعود) إذ هو أمر لا يمكن حدوثه فينتفي بها حصول ذلك[٩]. ونحو قوله تعالى:{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} [مريم، ٢٣]، وقوله: {يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ}[الأنعام، ٢٧]، فهي أخبار غير ممكنة الحدوث على وفق هذه السياقات.

كما يرد النفي في أسلوب الاستفهام بعد أن تضمن الأخير شيئا من ذلك، حين يكون السؤال مبنيّا لغرض آخر، ظاهره استفهام وباطنه نفي. إذ يفهم النفي بعد رسوخ مفاهيم عديدة في ذهن المخاطب والمتلقي تجعله عارفًا في غايات الاستفهام. ويتمثل النفي في الاستفهام من خلال تجلّيه في غرض النفي، وهو غرض من أغراض الاستفهام المجازي.

فالغرض الأصلي للاستفهام هو الطلب، وقد يخرج بعدها لأغراض معنوية بأدواته حروفا وأسماءً، ومنها(١٠):

١- التشويق، حين يراد تشويق المخاطب إلى أمر ما، نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠].

٢- الفخر، حين يكون المستفهم منه أمرًا عظيما يفخر به المتكلم، نحو:

أَضاعُوني وَأَيَّ فَتىً أَضاعُوا لِيَومِ كَريهَةٍ وَسِدادِ ثَغرِ

٣- التقرير، حين يُطلب من المخاطب الإقرار بما بعد الأداة، أو إثبات ما بعدها، نحو قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦] .

٤- التمني، حين يكون ما بعد الاداة (هل) بعيد المنال أو مستحيلا، نحو قوله {فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} [الأعراف: ٥٣] .

٥- الاستبطاء، تعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه، نحو قوله تعالى: {مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة، ٢١٤].

٦- التهويل والتعظيم، نحو قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة: ١ - ٢] .

٧- التوبيخ، حين يكون المستفهم عنه مستقبحا حصوله، نحو:

إلامَ الخُلفُ بَينَكُمُ إلاما وَهَذي الضَجَّةُ الكُبرى عَلاما

وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعضٍ وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما

٨- التعجب، حين يكون الأمر مثيرا للعجب والدهشة، نحو قوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [مريم: ٢٩].

٩- التحقير، حين يكون المستفهم عنه وضيعًا لدى المتكلم، نحو:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير

١٠- الاستبعاد، وهو استبعاد ما بعد الأداة، نحو قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [يس: ٤٨]

١١- التحسر والتوجع، حين يتحسر المتكلم على المستفهم عنه، يقول أحمد شوقي:

ربـاع الـخلد ويـحك مـا دهـاها أحـــق أنـــهـا درســـت أحـــق

١٢- التقريع، قال تعالى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} [الشعراء:١٨].

١٣- الإنكار، حين يراد إنكار المستفهم عنه، نحو قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ } [البقرة: ٤٤].

١٤-النفي،حين يريد المتكلم نفي ما بعد الاستفهام،نحو قوله تعالى{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥].

فهذه المعاني في الأصل مآخذ سياقية يُبنى عليها الاستفهام، تفسرها الأعراف والغايات الكلامية عند أصحابها كلٌّ بحسب الغرض الذي جاءت من أجله، ليكون الاستفهام بعد ذلك قد أخذ مأخذه من قصديات المتكلم واتفاق السامع معه. إلا أن ما يعني البحث ويثري سبيله هو البحث في تزامن النفي الضمني من هذه

الأساليب والأغراض مع الاستثناء المفرّغ، ولا يخفى أن تلك الأساليب تحتاج كغيرها تأمّلا لغويّا لتحصيل دقائقها المعنوية، ليتسنى للناظر فيها بلوغ لطيفها ونكتها.

أسلوب الاستثناء (المفرغ):

الاستثناء عموما هو: "الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها لما كان داخلا أو منزلا منزلة الداخل"(١١). بمعنى آخر: "إخراج الثاني من حكم الأول بإلا أو إحدى أخواتها وهي غير وسوى وخلا وعدا وحاشا"(١٢).

تقوم عملية الاستثناء على ثلاثة أركان: المستثنى والأداة والمستثنى منه، وتتراوح هذه العملية بين نفيها وإثباتها، ضمنيا كان ذلك أم ظاهريا. ويقسم الاستثناء على نوعين (التام، والمفرغ). والتام ما ذُكر فيه المستثنى منه، على عكس المفرغ الذي حُذف فيه المستثنى منه، لتفقد بذلك عمليةُ الاستثناء أحد أركانها اللفظية، والأخيرُ(المفرغ) هو ما يُعنى هنا.

الاستثناء المفرغ:

الاستثناء المفرغ هو النوع الآخر في الاستثناء، إذ يكون فيه المستثنى منه محذوفا، ليأخذ المستثنى بعد الأداة عامل الأول المحذوف بعد أن يقع ما وقع عليه، يقول سيبويه(ت١٨٠هـ):"نفى عنه ما أُدخل فيه وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، وما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٍ، وما رأيتُ أحدا إلا زيدا، جعلت المستثنى بدلا من الأول، فكأنك قلت: ما مررتُ إلا بزيدٍ، وما أتاني إلا زيدٌ، وما لقيتُ إلا زيدا. كما أنك إذا قلت: مررت برجلٍ زيدٍ، فكأنك قلت: مررتُ بزيدٍ. فهذا وجه الكلام أن تجعل المستثنى بدلا من الذي قبله، لأنك تُدخله فيما أخرجتَ منه الأول. ومن ذلك قولك: ما أتاني القومُ إلا عمرو، وما فيها القومُ إلا زيدُ، وليس فيها القوم إلا أخوك، وما مررتُ بالقوم إلا أخيك. فالقوم ههنا بمنزلة أحد"(١٣).

ولا يكون هذا في المثبت، ينقل جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) فيه: "ذَلِك عِنْد أَكثر النُّحَاة إِلَّا فِي غير الْمُوجب وَهُوَ النَّفْي كَمَا مثل وَالنَّهْي والاستفهام نَحْو: {وَلَا تَقولُوا على الله إِلَّا الْحق} [النِّسَاء: ١٧١] {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ} [الْبَقَرَة: ٨٣] {هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: ٤٧]"(١٤). أي لا يقع الاستثناء المفرغ ويقوم معناه إلا في الكلام المنفي أو النهي أو الاستفهام.

ويثبت من خلال ما سبق عن الاستثناء المفرغ:

١- إذا لم ترَ اسما (المستثنى منه) قبل أداة الاستثناء، أي حُذف المستثنى منه من الكلام فيكون المستثنى معربا بحسب موقعه في الجملة، كما لو كان بدلا من المحذوف(١٥).

٢- شرط من شروطه أن يكون منفيا أو شبهه، أي: لا يقع في كلام موجب فلا تقول: (ضربت إلا زيدا)(١٦).

تحقق النفي (ضمنيا) في أسلوب الاستثناء المفرغ:

لكي يتحقق مفهوم الاستثناء المفرغ ويُقصر العامل على ما بعد الأداة، يجب أن يرد الكلام منفيا أو شبهه، إذ هو شرط من شروط تحققه.

وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم وكلام العرب استثناء مفرغ تحقق فيه النفي ضمنيا، يأتي ذلك في سياق ما سمحت به قواعد اللغة العربية بلاغيا (أسلوبيا) ونحويا وصرفيا ولغويا. فقد أجازت اللغة الفصيحة سياقات تكاد تكون غير مألوفة لوهلةٍ ما لم تخضع هذه المعاني وتُقلّب في أذهان السامع والمتلقي فيستنبط منها حكما واحدا ومعنى لا يقبل الشك في أمره؛ لأن هذه المعاني والأساليب جزء من واقعه الذي يعيش فيه، وظرفه اللغوي الذي أحاط به.

ومن الأمثلة التي ورد فيها النفي ضمنيا في أسلوب الاستثناء (المفرغ) في كتاب الله يُجمل في هذه الآيات الكريمات(١٧):

١- {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [البقرة:١٣٠].
٢- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[البقرة: ٢١٠].
٣- {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[البقرة: ٢٥٥].
٤-{وَمَنْ يَّغْفِرُ الذُّنُوْبَ اِلَّا اللّٰه}[آل عمران: ١٣٥].
٥-{قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ} [المائدة: ٥٩]
٦- {قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [الأنعام ٤٧]
٧- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} [الأنعام ١٥٨].
٨- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ}[الأعراف: ٥٣].
٩- {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٤٧].
١٠- {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ}[التوبة: ٥٢]
١١- {فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ}[يونس: ٣٢].
١٢- { ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}[يونس: ٥٢].
١٣- {فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ}[يونس:١٠٢].
١٤- {قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[يوسف: ٦٤].
١٥- {قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}[الحجر: ٥٦].
١٦- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[النحل: ٣٣].
١٧- {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[النحل: ٣٥].
١٨- {هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: ٩٣].
١٩- {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}[الأنبياء: ٣].
٢٠- {ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}[سبأ: ١٧].
٢١- {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ: ٣٣].
٢٢- {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ}[فاطر: ٤٣].
٢٣-{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[الزخرف: ٦٦].
٢٤- {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}[الأحقاف: ٣٥].
٢٥- {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ}[محمد: ١٨].
٢٦- {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[الرحمن:٦٠].

ففي قوله تعالى:{وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ}، وقع في اسم الاستفهام (مَن) معنى النفي أي ما يرغب (عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)[١٨].

وقوله تعالى:{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّآلُّونَ}، يقول فيه العكبري(ت٦١٦هـ):"قوله تعالى : وَمَن يَقْنَطُ (مَن): مُبْتَدَأٌ. وَ (يَقْنَطُ): خَبَرُهُ، وَاللَّفْظُ اسْتِفْهَامٌ، وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ؛ فَلِذَلِكَ جَاءَتْ بَعْدَهُ إِلَّا[١٩]". وبناء على ما ورد في اسم الاستفهام(مَن) وخروجه من الحقيقة إلى المجاز تحقيقا لمعنى النفي، فإن ذلك من لطائف اللغة العربية؛ إذ يكون الاستفهام واردا، وجوابه المُرادُ ما بعد أداة الحصر (إلا)، فكان في السياق الاستفهامُ والجوابُ معا، وكأن الأداة (إلا) عملت على استئناف جديد للمعنى بعدها، متصل بسياق عام أو أشارت إلى غاية الاستفهام، وهو استفهام مجازي لتحقيق النفي، إذ هو نفي خالص مؤول بأداة نفي صريحة، كما في قوله تعالى (وَمَنْ يَّغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلَّا اللّٰه)، يقول الفرّاء(ت ٢٠٧هـ):" فإن معنى قوله (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ): ما يغفر الذنوب أحد إلا اللَّه، فجعل على المعنى"[٢٠]. إذ هي دلالة سياقية صريحة تدل على إيراد معنى النفي لتحقيق حصر المعنى لما بعد الأداة ، نحو قوله تعالى:{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[الأنفال: ١٦]، أي: ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرّفا أو متحيزاً[٢١].

أما حرف الاستفهام (هل)، فيردُ حرف نفي (مؤولا) في سياق (إلا) كما هو جليّ في استعمالاتها، نحو قوله تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[الرحمن: ٦٠]، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرةِ[٢٢].

وللدكتور فاضل السامرّائيّ تعليلٌ معنوي في مجيء (هل) حرف نفي مجازا، إذ غاص الدكتور فاضل السامرائي في البُعد المعنوي لهذا الاستعمال حتى قال:"الذي يبدو راجحًا أن معنى النفي المستفاد من (هل) لا يطابق النفي بحرف النفي"[٢٣]، معللا ذلك من جهتين:

الجهة الأولى: "أن النفي بهل ليس نفيا محضا بل هو استفهام أشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار، أو غير ذلك من المعاني، فقوله تعالى:{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ }[التوبة: ٥٢] ، يختلف عن قولنا (ما تربصون بنا إلا إحدى الحسنين) فإن الأولى ليست نفيا خالصا، فإن فيها من التحدي والاستخفاف ما لا يؤديه النفي المحض، ونحوه قوله تعالى ردًا على طلب الكفار حين طلبوا من الرسول أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا، أو يسقط السماء كسفا، أو أن يأتي بالله والملائكة وما إلى ذلك، فقال:{هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: ٩٣]. فأنت ترى أن المعنى مختلف عن النفي المحض، وأنه لو جاء بالنفي فقال (قل سبحان ربي ما كنت إلا بشرًا رسولًا) ما كان يؤدي ما أداه الاستفهام من استنكار.

الجهة الثانية: أن النفي الصريح إنما هو إقرار من المخبر، فإذا قال (ما جزاء الإحسان إلا الإحسان)، أو قال (ما على الرسول إلا البلاغ) كان هذا إخبارًا من المتكلم. أما إذا قال ذلك بطريق الاستفهام. فإن المقصود إشراك المخاطب في الأمر فهو يريد الجواب منه، فإذا قال مثلا (ما على الرسول إلا البلاغ) كان المخاطب مدعوا لأن يجيب، وسيكون جوابه المنتظر: لا ليس على الرسول البلاغ.

وإذا قال: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) كان المخاطب مدعوا لأن يجيب وسيكون جوابه: لا، ما جزاء الإحسان إلا الإحسان"[٢٤]. ويبدو أن هذا هو الأصل في استعمال النفي (مجازا) مع أسلوب القصر (الاستثناء المفرغ)؛ لحمله دلالات معنوية يراها المتلقي والسامع أشد أثرًا على نفسه من النفي الصريح.

فإن استبدال أدوات النفي بالنفي المجازي لم يكن عابرا أو عملا بريئا، إنما كان غرضا أسلوبيا أنشأه المتكلم لغايةٍ، ظاهرها استفهام وباطنها قصد إخباريّ.

ـ دلالة الفعل على وجود النفي الضمني في الاستثناء المفرغ:

المتفق عليه أن إفراغ الاستثناء لا يكون في الموجب عموما، وإن جاء الكلام على خلاف هذا المفهوم فسوف يؤول بحضور المستثنى منه بدلالة المعنى الموجود بالاسم الواقع بعد الأداة، مع قرينة عامة في السياق تدل على حذفه، ليكون تقدير المحذوف إقناعا بصحة هذا القياس. يقول رضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) عن تفريغ الاستثناء: "إنما يصح حذفه إذا قام عليه دليل، والدليل المستمر دلالته على المخرج منه هو المستثنى، لأنه يعرف به أن المقدر متعدد من جنسه، يعمه وغيره، وذلك المتعدد المقدر، لا يمكن أن يكون بعضا من الجنس غير معين"[٢٥]، فكل ذلك إن قام عليه دليل، نحو (قام إلا محمد) إذا كنت تخرج محمدا من جماعة بعينها، أو تقول (قرأت إلا يوم الخميس) وكأنك استثنيت الخميس عن بقية أيام الأسبوع[٢٦].

وقد يأتي الاستثناء مفرغا في الموجب، مع عدم وجود ما يدل على المستثنى منه، ويكتفي السياق بحصر المعنى على ما بعد الأداة، بناءً على تأويل النفي، إذ يجوز التفريغ في موجبٍ مؤوّل بالنفي[٢٧]، نحو قول الشاعر محمود سامي البارودي:

أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه ويملك أعناق المطالب وغده[٢٨]

وهي خصوصية بعض الأفعال، وقرينة السياق التي تجلب معنى النفي (الضمني) الذي يصحّ القياس عليه فيصحّ معه التفريغ، نحو قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[التوبة: ٣٢]، وقوله تعالى: {فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}[الإسراء: ٩٩]، فالفعلان (يأبى، وأبى) تضمّنا نفيا بعدَ أن جيء بهما للتعبير عن عدم إرادة الشيء، فتكون بذلك "(إلا) أداة حصر لأن الكلام على تقدير النفي لأن يأبى تجري مجرى لم يرد"[٢٩].

وقوله تعالى:{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ}[يوسف: ٧٩]، وهو استثناء مفرغ، و(إلا) أداة حرص تلاها مفعول به الاسمُ الموصول (مَن)؛ وذلك بتضمين (معاذ الله) معنى لا يصحّ ولا يجوز[٣٠].

يلتحق مفهوم السياق ودلالة الفعل بأساليب النفي الضمني التي وردت في أسلوب الاستثناء المفرغ، فيكون رديفا للنفي الصريح أو النفي بالأدوات المخصصة لهذا الغرض.

وتجدر الإشارة أنّ النفي الضمني من خلال الاستفهام الأكثرَ ورودًا مع أسلوب الاستثناء المفرغ، قياسا مع الأساليب الأخرى سواء كان ذلك بدلالة سياقية ولفظية أم بالشرط أو التمني، نسبةً إلى الأمثلة التي وردت في البحث التي أجملت كثيرا من السياقات التي تُعدّ الأكثر استعمالًا واتساعا، وكأن هذه السياقات قد استمدت حريتها التي توافقت مع القاعدة اللغوية، ليربطهما التأويل والتقليب المعنوي للكلام، فجاء الأسلوب على الأصل اللغوي وإن كان التعبير مختلفًا.

الخاتمة..

إن النفي في اللغة العربية ظاهرة فريدة لتعدده؛ بتعدد أساليبه اللفظية والسياقية. وما شجع للخوض فيه هو تلازم بعض الأساليب معه كالاستثناء المفرغ، إذ يمكن تتبع ظاهرته مع ما تشترطه هذه الأساليب، فنكون قد لاحظنا شيئا من لطافة اللغة ورشاقتها في اللسان.

وختاما:

١- يتعدّى مفهوم النفي حواجزَ الأدوات، ليكوّن مفهوما أوسع يتمثّل ببعض الأساليب كالاستفهام والشرط والتمني، والتي تفيد في بعض سياقاتها نفيا ضمنيا (معنويا).

٢- النفي سياقي في بعض المواقف، كدلالة النفي الواقع في بعض الأفعال، أي الأفعال التي تؤول بـ (لا نريد، أو لا يريد، أو لم يرد، أو لا يحصل) وهكذا. أو قد يكون هذا التأويل الحاصل للنفي بدلالة أو قرينة سياقية تسبق الفعل.

٣- النفي شرط من شروط الاستثناء المفرغ، فيرد معه النفي الضمني تحقيقا للشرط.

٤- ورد النفي الضمني بأسلوب الاستفهام كثيرا مع أسلوب الاستثناء المفرغ، حتى صار أكثر الأساليب تجليا مع هذا الغرض مقارنة مع بقية الأساليب. وكما يبدو أن خروج الاستفهام لغرض النفي إنما كان للقرب المعنوي بين الأسلوبين، وكأن الاستفهام المجازي لغرض النفي مبنيّ على إنكار المخاطب والسامع للاستفهام بشكل عامّ؛ فالاستفهام المجازي يُبنى على علم المتلقين بمآله.

الهوامش:

لسان العرب، ١٥ / ٣٦٠

ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٩٤٣

ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني، ص ٢٤٥

بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبداللطيف، ص٢٨١

ينظر: في النحو العربي أسلوب في التعلم الذاتي، الدكتور فارس محمد عيسى، ص ٢٣٠

من أسرار العربية، ١٦٣

ينظر: معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ٤/ ٨٩

البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ٣/ ١٨٣

معاني النحو، ١/ ٣٠٣

أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد الكريم محمود يوسف، ص ١٧ - ١٨

شرح الأشموني لألفية ابن مالك، علي بن محمد، نورالدين الأشموني، ١/ ٥٠٢

غنية الطالب ومنية الراغب، أحمد فارس الشدياق، ص ٧١

الكتاب، عمرو بن عثمان، سيبويه، ٢/ ٣١١

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٢/ ٢٥١

ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء ، ١/ ١٦٧

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ٢/ ٢١٩

ينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، إذ جُمع منه كل ما ورد فيه نفي ضمني في أسلوب الاستثناء المفرغ من خلال الاستفهام، وقد بلغ عدد الآيات التي تضمنت هذا المفهوم ستّ وعشرين آية.
ينظر: إعراب القران، أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر النحاس، ١/ ٧٩
التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ٢/ ٧٨٥.
معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٣٤
ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٢٠٦، وشرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، ٢/ ١٠١
معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج ، ٥/ ١٠٣
معاني النحو، ٤ / ٢٤٣
معاني النحو، ٤/ ٢٤٤ (بتصرّف)
شرح الرضي على الكافية، ٢/ ١٠٠
ينظر: معاني النحو، ٢/ ٢٤٨
ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٢/ ١٠٧
ديوان محمود سامي البارودي، ١/ ٢٠٥
إعراب القران وبيانه، محيي الدين الدرويش، ٤/ ٩٠

المصادر:

١- لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت- الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢ م.
٣-كتاب التعريفات، تأليف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)
ت: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٤- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب- القاهرة، الطبعة: ٢٠٠٣.
٥- في النحو العربي أسلوب في التعلم الذاتي، تأليف الدكتور فارس محمد عيسى، دار البشير- الأردن، الطبعة الأولى- ١٩٩٤م.
٦- من أسرار العربية، تأليف الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية- الطبعة الثالثة- ١٩٦٦م.
٧- معاني النحو، تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر - عمان، الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٨- البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٩- أسلوب الاستفهام في القرآن غرضه - وإعرابه، تأليف عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام - دمشق، الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.
١٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تأليف علي بن محمد بن عيسى، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١١- غنية الطالب ومنية الراغب، تأليف أحمد فارس الشدياق، دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة - تونس.
١٢- الكتاب، تأليف عمرو بن عثمان، أبو بشر سيبويه (ت ١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت، الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٤- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ت: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى .
١٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني (المتوفى : ٧٦٩هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٦- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي (ت ٣٣٨هـ)، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ.
١٧- التبيان في إعراب القرآن، تأليف أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ)، ت: علي محمد البجاوي، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركائه - ١٩٧٦م.
١٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٩- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تأليف محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، نجم الدين (ت ٦٨٦ هـ)، المكتبة الشاملة الذهبية - ١٣٩٨ هـ.
٢٠- معاني القرآن وإعرابه، تأليف إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢١- ديوان البارودي، تأليف الشاعر محمود سامي البارودي، دار العودة - بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٨.
٢٢- إعراب القرآن وبيانه، تأليف محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ)، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الرابعة - ١٤١٥ هـ.
٢٣- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تأليف محمود صافي، دار الرشيد - دمشق - مؤسسة الإيمان - بيروت،الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.